

## الموت والحياة عند أمل دنقل (مقاربة تداولية)

## Death and Life at Amal Dankel's Pragmatic Approach

بن حواء مريم<sup>1</sup> / عموري السعيد<sup>2</sup>Ben Haoua Meriem<sup>1</sup> / Amouri Alsaid<sup>2</sup>

مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية والتعلمية في الجزائر

المركز الجامعي مرسلتي عبد الله تيبازة (الجزائر)

Universitaire Morsli Abdellah – Tipaza (Algeria)

meriemben601@gmail.com<sup>1</sup> Said\_amo@yahoo.com<sup>2</sup>

تاريخ النشر: 2023/06/02

تاريخ القبول: 2022/12/01

تاريخ الإرسال: 2022/08/03

## ملخص البحث

احتلت جدلية الموت والحياة مساحة واسعة من قضايا الشعر العربي الحديث، لما تعكسه من واقع قائم على الصراع بين اليأس والعجز المحيلين على الموت، وبين التماسك والمقاومة المحيلين على الحياة وبين كل تلك الرموز التي يصبغها الشاعر لطرح قضاياها؛ فالشاعر حينما يكتب تصوره للعالم ورؤيته للكون، لا يهدف لتجسيد صورة الحياة والموت، وإنما للكشف عن أبعادها وتجسيد خلفياتها والدلالات التي تشع من ثنايا الصور المعبرة عن القضايا، فما الأدب إلا خطاب يطارحه منشئه بطريقة فنية جمالية، مستخدماً لغته للتأثير والتعبير بلغة شاعرة؛ أين لا يمكن الإمساك بمقاصد صاحبها، أو مقارنتها دون الوقوف عند علاماتها وعلاقاتها بمستعملها وسياقات استعمالها.

من هنا ارتأينا البحث عن المقصدية الكامنة وراء جدلية الموت والحياة بنتاج شاعر عايش انتظار الموت وكتب له في صراعه مع الحياة "أمل دنقل"؛ مختارين قصيدة تجسدت فيها هذه الجدلية من خلال رمز واحد قصيدة زهور؛ متسائلين: كيف صاغ "أمل دنقل" رمزاً يمثل الحياة في فلسفة البشر بتلك الصبغة الدرامية؛ حيث صار محوراً للخير والشر ونقطة تلاقي للموت والحياة؟

الكلمات المفتاح: الموت والحياة، المقصدية، الرمز، مقاربة تداولية، أمل دنقل.

## Abstract :

The dialectic of death and life has occupied a wide area of issues in modern Arabic poetry because it reflects a living reality based on the conflict between despair and helplessness that lead to death, and between cohesion and resistance that leads to life; when the poet writes about them, he does not aim to embody or describe them, but to reveal their dimensions and embody their backgrounds according to his vision of them.

From here, we saw the search for the meaning behind the dialectic of death and life as the result of a poet who lived waiting for death and wrote to him in his struggle with life "Amal

\* بن حواء مريم، meriemben601@gmail.com

dengel", choosing a poem in which this dialectic was embodied through a single symbol, a poem of flowers; wondering how to dye "amal dengel" A symbol that represents life in the philosophy of human beings in such a dramatic way. Where it became a meeting point for death and life?

**Keywords:** Death and life, destination, symbol, deliberative approach, amal dengel.



## أولاً\_ مقدمة:

تتجلى شعرية "أمل دنقل" في طرقه عديد الموضوعات الكونية الدرامية، من خلال مناوشته الدائمة للصراعات الواقعة في السياسة والفكر والوجود. فمواضيع كالقدس والهزيمة والحرية سارت تداعياتها في نصوص كثيرة، يقدمها أمل في قالب فني يجمع فيه بين اللغة الشعرية في مستواها الإخباري، وبين اللغة الشعرية في مستواها الغامض الإيحائي؛ حيث تنوَّب فيها الأحاسيس ولماحات الحزن وصور الصراع الأبدى بين الموت والحياة، الخير والشر، وكل تلك التناقضات عن النفس الإنسانية الحاملة الباحثة عن الحقيقة.

نحاول في هذا المقال بسط شيء من تلك الصراعات الأبدية بين الموت والحياة من خلال قراءة في مقصدية الرمز الشعري (الوردة) في قصيدة (زهور) من أعماله الكاملة.

والسؤال الذي ننطلق منه في مقاربتنا التداولية عن القراءة المقصدية في قصيدة "زهور" يتلخص في ما يلي: كيف صبغ أمل رمزاً يمثل الحياة في فلسفة البشر بتلك الصبغة الدرامية؛ حيث صار محور للخير والشر ونقطة تلاق للموت والحياة؟

إننا من خلال تطبيقات المقاربة التداولية في عنصرها الأهم (المقصدية) نحاول أن نقرأ الرمز، ونسائله كما ساءله أمل في نصه الشعري "زهور".

نفرض أن لرمز الزهرة أو الوردة تقاطعات كما لتلك التقاطعات عند الإنسان حيناً يلتقي إلى بينته، أو لا يلتقي إليها، حيناً يتحرر من الكون المادي إلى الوجود القصري في بينته لا يريدتها؛ إن القضية هنا هي قضية الحرية، جدلية الحرية والعبودية، الحياة والموت.

اخترنا للوصول إلى مقاربتنا خطة منطقية لم نلج فيها عمق الجانب النظري عن المنهج التداولي، بقدر ما ركزنا على تعريف عنصر الدراسة المنهجي (المقصدية)؛ ثم حاولنا مقارنة الرمز عبر عنصرين منهجين هما: المقصدية المحلية للرمز والمقصدية الشاملة للرمز.

## ثانياً\_ المقصدية في الدراسات النقدية الحديثة:

تمثل المقصدية البؤرة الرئيسية التي يقوم عليها الخطاب الإبداعي، ويتشكل في ضوءها سياقاته المختلفة سواء اللغوية أو الدلالية أو التداولية على حدٍ سواء؛ لما تحتويه من سلطة توجيهية في بناءه، عبر تحديدها

لسننه اللغوية وتسييرها لعلاقاتها القائمة بين بعضها البعض، وعلاقاتها مع الأفكار المتضمنة فيها وفق السياقات المنتجة بها؛ حيث أنها بمثابة «البوصلة التي توجه تلك العناصر وتجعلها تتضام وتتضافر وتتجه إلى مقصد عام، فالمقصد يحدد اختيار الوزن والألفاظ الملائمة، وتركيبها بطريقة معينة لتؤدي المعنى العام المتوخى»<sup>1</sup> منها؛ فما الخطاب الإبداعي... ومن ضمنه الخطاب الشعري... إلا انعكاس لغوي للمقصدية الكامنة به، والتي تمنحه سلطته التأثيرية وخاصيته التواصلية؛ حيث أنها قابضة في نقطة الالتقاء بين ما يحول بذات مبدعها وقدراته اللغوية والسياقات التي قيلت فيها... سياسية، تاريخية، ثقافية واجتماعية... وكذا مدى استجابة متلقيها لها؛ مما يجعل الوصول إليها والإمسك بخباياها أمرًا مستعصيًا غير يسير؛ إذ أنه مني على طرفين متضادين في التأويل هما: «التأويلات اللامتناهية التي قد تكون متناقضة والتأويل الحرفي، إذ هي تنطلق من ثبات المعنى لثبات مقاصد المؤلف، ومن تغيرات التأويل الخاضع لالزامات عصر المؤلف والسياق الذي يعيش فيه»<sup>2</sup>؛ مما يوحي بوجود نوعين من المقصدية مختلفين ومتراطيين ومتكاملين في آن واحد؛ إذ لا يمكن الإمساك بإحدهما دون الولوح بالأخرى والتعرف عليها؛ وقد حددها كل من "آن روبول" و "جاك موشلار" بكتابتها "تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب" على أنها:<sup>3</sup>

**1\_ المقصدية الشاملة "Intentionnalité Globale":** ونعني بها تلك المقصدية المتعلقة بمجمل الخطاب، أي المراد إبلاغه للمتلقي من قبل المبدع في مجمل خطابه؛ وهي تجمع بين مقاصد المؤلف ومقصدية النص ومقصدية المتلقي في آن واحد؛ فيكون تحصيلها بذلك أمرًا ضروريًا ليحقق الخطاب فعله التواصلية الإشاري... الاستدلالي.

**2\_ المقصدية المحلية "Intentionnalité Locale":** ويقصد بها تلك المقصدية المرتبطة بأحد الملفوظات المكونة للخطاب دون غيرها؛ وهي تتحدد عبر علاقة هذه الأخيرة... الملفوظة... مع باقي الملفوظات سواء السابقة عنها أو اللاحقة عليها بنسق الخطاب الواردة به، في ضوء المقام التواصلية لها... اجتماعي، سياسي، ثقافي، تاريخي... والمعلومات الظاهرة تبادليًا؛ وكذا صورة المتلقي الضمني بذهن المبدع الذي يوجه الخطاب. والواضح من هذا أن المقصدية لا تتعلق بالتركيب النسقي... اللغوي... للخطاب الإبداعي ومبني مبدعه فحسب؛ وإنما تمتد لتشمل متلقيها وقدرته على الكشف عنها والإمسك بخباياها، إذ أنه حاضر ليس أثناء تلقيها فحسب، وإنما أثناء صياغتها أيضًا؛ فلكل مبدع قارئه الضمني الذي يتوجه له بخطابه الإبداعي مراعيًا خلفياته الفكرية والثقافية؛ والتي توجه اختياره لألفاظه وتركيبه حتى تؤدي المعنى المرجو منها وتحقق الغرض المراد من خلالها؛ حيث أن كل إحياء وفجوة بالخطاب الإبداعي يفهما المتلقي ويؤولها حسب مكتسباته القبلية، فلا يمكن الوصول للمقصدية الكامنة بالخطاب الإبداعي وخاصة الخطاب الشعري منه لما يتميز به من لغة شعرية وإيجاءات بعيدة المرامي، بغير «فك رموز المسكوت عنه أو المقتضيات الضمنية في أفعال اللغة غير المباشرة وتأويله بشكل دقيق»<sup>4</sup>، ولإنجاز ذلك علينا تتبع جملة من الخطوات الدقيقة لآلا يتوه معناه ومقاصده منا بمتاهات دلالات اللغة ومكتسباتنا القبلية، خاصة مع تطور أساليب نظم الخطابات الإبداعية؛ التي تستوجب تقنيات

قراءة جديدة مكافأة لها لتفك طلاسمها وتكشف عن خباياها؛ وقد حدد "الشهيري" هذه الخطوات بكتابه "استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية" في النقاط التالية<sup>5</sup>:

- الاعتماد على دلالات الألفاظ والتركيب اللغوي للخطاب الإبداعي - معناه الحرفي - وربطها بمعتقدات وأراء متلقيها المنتجة لها، بغية الوصول إلى المقصدية الكامنة وراءها والكشف عن تداعياتها وإيجاءاتها المختلفة.

- معرفة العرف اللغوي السائد عند جماعة المبدع - المعنى التداولي للألفاظ والتركيب اللغوية - وربطه بمقاصده، مع توضيح العلاقة الكامنة بينهما.

- ربط الدلالات الحرفية - المعجمية - للخطاب الإبداعي بالسياقات الواردة فيها، عبر الاستدلال المنطقي المعتمد على معرفة استراتيجيات المخاطب بالخطاب وآلياته التعبيرية فيه؛ بغية الكشف عن المقاصد المتضمنة به.

يتضح مما سبق أن المقصدية من أهم العناصر التي يبحث فيها المنهج التداولي؛ لارتباطها بالجانبيين النصي والتواصلية الإخباري بالخطاب الإبداعي، وتعلقها بأثافيه الثلاث الرئيسية - المبدع، النص، المتلقي -؛ إذ أنها من أهم معايير تحقيق النصانية وشرط أساسي بكل أنواع التواصل الإنساني؛ فتكون بذلك من أهم العناصر الموجهة للاستعمال اللغوي به.

### ثالثا - المقصدية المحلية للرمز:

تعد تقنية الترميز من أبرز التقنيات وأكثرها شيوعاً في التعبير عن رؤى ومقاصد الشاعر بالشعر العربي الحديث، لما تضمنه عليها من بعد إيجاء في جمالي وقرب دلالي، عبر تحميلها للألفاظ بغير دلالاتها الحرفية ووسمها القصيدة بنوع من الانغلاق والغموض المحببين؛ اللذان يجعلان مراميا أكثر وضوحاً وتجسداً بذهن القارئ، وهذا ما يتجلى بمدونة "زهور" عبر المقصدية الكامنة وراء رمزية "ورود".

إن طبيعة "أمل دنقل" الثائرة والغامضة والتي دفعت معاصريه إلى وسمه بلقب "أمير شعراء الرفض"، دفعته هو ذاته لتبني قضايا الأمة العربية - فلسطين، التهجير، السويس...، ولاستعمال الأسلوب الرمزي - المغاير للمسار العادي المنطقي المجرد للغة<sup>6</sup>، للتعبير عن مقاصده وما يحول بذاته، بل ومالا يمكنه أن يفصح عنه بغيره؛ فالرمز وحده من يستطيع «أن يحتوي الحدود واللامحدود والمتحول الساكن والآني الدائم ويتضمن القيم كلها التي يحسبها المنطقان العلمي والتقليدي متناقضة وما هي بمتناقضة»<sup>7</sup>؛ وهذا ما يظهر جليا عبر رمزية "ورود" بقصيدته "زهور"؛ إذ تعددت دلالاتها واختلفت إيجاءاتها من مقطع لآخر، باختلاف وتعدد السياقات الواردة فيها؛ بغية تجسيد مقاصد مبدعها كالتالي:

- فقد أحالت بالمقطع الافتتاحي - من السطر الأول إلى السطر الرابع - على معناها التداولي كرمز للحياة الطويلة السعيدة والأمل بها؛ حيث أنها تهدى للمريض تيمنا بشفاؤه، وللعروس تيمنا لها بحياة جديدة طويلة

جميلة وسعيدة... ألوانها الزاهية وأريجها العطر جعل الناس يربطونها بالغبطة والسرور والحياة الطويلة والأمل بها، بل جعلهم يتخذون منها وسيطاً يتبادلون عبره تلك المشاعر الطيبة بمختلف المناسبات؛ وهذا ما تجلّى عبر هذا المقطع من خلال جذب سلال الورود المهداة للشاعر لانتباهه، أثناء مصارحته لسكرات مرضه \_ بين إغفاء وإفاقة \_؛ واهبةً إياه الأمل والقوة للتشبث بالحياة ومواصلتها، من خلال رمزيتها وإيجائها المترسخ بذهنه، خاصة وأنها تحمل ابتهالات ممدّيا له بالشفاء العاجل \_ اسم حاملها في بطاقة \_؛ فتكون بهذا دالةً على الحياة والأمل بالاستمرار فيها.

- في حين أحالت بالمقطع الثاني \_ من السطر الخامس إلى السطر التاسع عشر \_ على الموت بشقيه \_ شقه المادي "الملموس" وشقه المعنوي "المحسوس" \_، منتقلة بذلك من الإيجاء على الشيء (الحياة) إلى الإيجاء على ضده، ومتلبسةً لدلالات مناقضة تماماً لدلالاتها السائدة بفكر وثقافات المجتمعات الإنسانية، وعاكسةً لحزن ويأس الشاعر الذي حَمَلَ بالموت أكثر شيء موحى على الحياة؛ مما كساها بشيء من الغموض الناتج عن بعد الصلات بين الشيء الموحى به والشيء الذي كان وسيلةً للإيجاء عليه؛ فجموح خيال الشاعر استطاع أن يجد صفات مشتركة بين ما لا يصدق بأنهما قد يجتمعان بدلالة واحدة، مشكل من خلالهن هذه الصورة العاكسة لمقصديته، والتي يمكن توضيح الصلات فيما بين "الموت" و"الورود" عبر النقاط التالية:

➤ إن الورود حين توهب بغية تمثي الحياة السعيدة والطويلة لمتلقيها تكون فاقدة هي لها، إذ أنها قبل أن تنسق بباقات أو سلال جميلة وتهدي تقطف من البساتين فتموت، ويظهر هذا بالقصيدة عبر مساواة الشاعر بين فعلي "القصف" و"الإعدام" المحيلين على الموت و فعل "القطف" المحيل على جني الزهور؛ عبر جعلهم جميعاً يتعون بلحظة واحدة كدليل على تساوي الألم والأثر الخلف من خلاهم؛ في قوله:

« نتحدث لي الزهراء الجميلة

أن أعينها اتسعت -دهشة-

لحظة القطف..

لحظة القصف..

لحظة إعدامها في الحيلة!<sup>8</sup>

كما أحال على ذلك استعماله لنفس التركيب اللغوي للدلالة على كل من فعلي "القصف" و"القطف"؛ والذين كان الشاعر في التعبير عن كليهما متوتراً غير قادر على البوح بكل مكنونات ذاته؛ يدل على ذلك البياض السابق لكل منهما وقطنا التوتر التالية لهما؛ والدالين على وجود كلام لم يبح به؛ ولعل مرد ذلك عائد إلى رهبة وقع لحظة الموت على الذات الإنسانية.

➤ إن ما يعيد الحياة للورود \_ الزهراء \_ بعد قطفها ويجعلها ذات قيمة دالة على الحياة الطويلة والسعيدة والأمل بها، هو تنسيقها بعد ذلك بسلال أو باقات وعرضها بالمتاجر أو بين أيدي

الباعة المتجولين؛ وكذلك فإن تنسيق نبأ وقعة موت شخص ما مع ذكر أسباب حدوثها \_ حادث أو مرض أو قصف أو إعدام أو... غير ذلك \_، وإبراز خلفياتها السياسية والفكرية والثقافية، وما ورائها من قضايا عامة شائكة عبر شاشات التلفاز أو صفحات الجرائد أو غيرها من وسائل التواصل الاجتماعي، يعيد الحياة لهؤلاء الموتى ويكسبهم قيمة باعثة على الحياة والأمل بها؛ إذ يجعل منهم رموزًا دالة على قضاياهم محركًا للعقول الواعية لتبنيها ونصرتها \_ كما حدث مع واقعة اغتيال الطفل الفلسطيني "محمد دره" خلف أبيه بالقرب من مدرسته، بقطاع غزة في السنة الصفر من الألفية الثانية للميلاد، حيث غدا رمز للمقاومة؛ وكذا واقعة اغتيال الصحفية الفلسطينية "شيرين أبو عاقلة" أثناء أدائها لواجبها المهني، بمخيم "جنين" في الضفة الغربية بالسنة الثانية والعشرين بعد الألفين للميلاد، إذ غدت رمزًا للتفاني في العمل \_، كما تحرك أشكال الورد المنسقة بمعارض البيع وجدان وقلب اليد المتفضلة لشراؤها.

➤ إن وهب سلال الورد أو باقاتها يكون بغية تمنى الحياة الطويلة والسعيدة لمتلقيها، عبر دعمه وغرس الأمل والسعادة بقلبه لمواصلة المشوار بها، من خلال تحميلها بمشاعر الود والدعم من قبل مهديها له، وكذا فإن إذاعة نبأ واقعة موت شخص ما يكون بغية دعم ووهب الحياة لمتلقيه، من قبل مذيعة عبر تحميله بمجموعة من الإرشادات والتوجيهات لسماعه؛ والتي إما أن تحفز هذا الأخير لتبني قضية ما، أو تجنبه الوقوع بنفس أخطاء غيره، أو تحثه على معاقبة من أجرم بحقه أو حق غيره فلا تتكرر الجريمة به أو بغيره.

من هنا يتضح بأن تحميل الشاعر لرمز "ورود" المترسخ بأذهان القراء على أنه مؤشر للحياة الطويلة والأمل بها والسعادة فيها، بدلالات مناقضة تمامًا كالموت والبأس والحزن، وبشكل منطقي حجاجي، جعلت دلالاته أكثر ترسخًا بذهن القارئ وأعمق تأثيرًا بوجدانه؛ فكل ما كان الجهد المبذول لتحقيق شيء ما أكبر كل ما كان التشبث به أقوى؛ كم أنه أوحى له بأن الأشياء السيئة متخفية وراء ما يظنه جيدًا وجميلًا؛ حيث أن "أمل دنقل" حين ربط بين دلالات الورد \_ الزهور \_ بدلالات الموت، لم يكن يهدف لوسم قصيدته بنوع من الغموض؛ الذي يزيدها رونقًا وجمالًا فحسب، وإنما كانت ضرورة استدعتها تصوير مقاصده التي لا يمكن تجسيدها بغير ذلك؛ والمتملة في دعوته لنا لوهب الحياة لقضايا الأمة العربية، والتي أحال عليها توظيفه لكلمتي "القصف" و"الإعدام" الدالين على الجرائم الواقعة ببلداننا العربية؛ وذلك من خلال تبنيها ونشرها موضعين خلفياتها ورؤاها الفكرية والسياسية والثقافية، موصولين صداها لمن يلتصق لها ويحمل راياتها فلا تموت بذلك ولا تنسى؛ حتى يظفر بها وتنعم بالحياة في ظلها.

\_ وقد أحالة بالمقطع الثالث \_ من السطر عشرون إلى السطر الرابع والعشرون \_ على دلالات اليأس والموت كذلك، إذ اقترنت بالعبارات التالية: « بين إغماء وإفاقة، تننفس... بالكاد، اسم قاتلها »<sup>9</sup>، لكن بشقه

المعنوي "المحسوس" المحيل على اليأس والاعتراب هذه المرة لا بشقه المادي "الملموس"، وهي هنا تتماهى مع ذات الشاعر بهذا المقطع فتحيل من خلال يأسها وموتها على يأسه وموته، ويظهر ذلك عبر اقترانها فيه بعبارة «بين إغفاءة وإفاقة»<sup>10</sup> التي وردت بالمقطع الأول من القصيدة مقترنة بذات الشاعر؛ وكذا من خلال ورود كلمة "مثلي" التي جسدت عبرها حالة الورد بحالة الشاعر، في قوله:

« كل باقة..

بين إغفاءة وإفاقة

تنفس مثلي بالكاد- ثانية.. ثانية

وعلى صدرها حملت -راضية..

اسم قاتلها في بطاقة!<sup>11</sup>»

لقد اتخذ الشاعر من نفسه -ومن خلالها كل صاحب قضية يناضل لزرعها بقلب غيره- نموذجاً مجسداً لحالة باقات الورد -الزهرات- المهداة له؛ إذ أنه ورغم مصارحته لمرض فتاك يعلم يقيناً أنه لن يسعفه لرؤية أماله تتحقق، مازال يقاتل من أجل نصرت قضيته ساعياً للظفر بها، محاولاً إمدادها بالعمر عبر زرعها مع الأمل بقلوبنا لنواصل الطريق معه ومن بعد وفاته فننعم بحياة كريمة سعيدة طويلة في ظلها، وإن لم يتمكن هو من التمتع بها أو أن يكون شاهداً على تحققها؛ وكذلك الزهرات تتمنى لنا الحياة الطويلة السعيدة رغم أنها تعيش آخر أيامها ولن تكون شاهدة عليها أو علينا، حاملةً لأجل ذلك اسم قاتلها على قلبها ببطاقة -مكان وضع البطاقة هو فوق الصدر من الجهة اليسرى، أي على القلب-؛ بغية إيصال مشاعر وده وأمانيه الطيبة لنا، لتبث فينا العزيمة والقوة على الاستمرار بهذه الحياة فتطول؛ وكذلك يحمل "أمل دنقل" هموم القضية العربية على قلبه راضياً بها محارباً لأجلها، رغم علمه التام أن ثقلها يهلكه.

والواضح هنا أن الشاعر اتخذ بهذا المقطع من الفرع -ذاته- نموذجاً شبه به الأصل -الورد-؛ فالورد هي رمزٌ للحياة والأمل -كما أسلف ذكره- والإنسان هو كائن فاني لم يرمز أبداً للحياة، مولداً بذلك خرقاً وتجاوزاً بالأحكام البلاغية وكسراً في القواعد والأعراف التداولية؛ مما ساهم في كسر أفق توقع القارئ وإحداث أثر أعمق بوجدانه ودلالة أوضح في ذهنه.

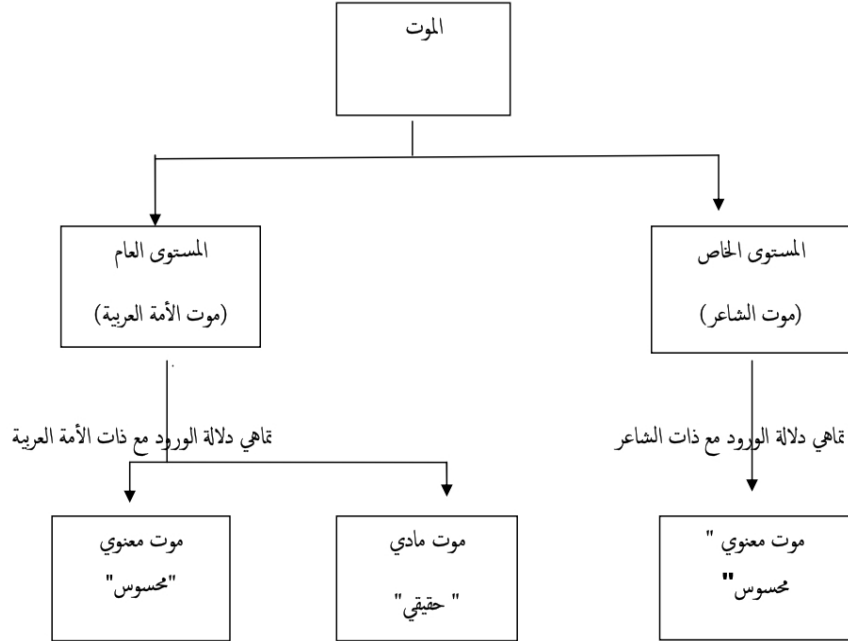
يتبين مما سبق أن دلالة "الورد" تتماهى مع ذات الشاعر مرةً، ومع ذات الأمة العربية أخرى؛ محيلةً في كلا الحالتين على الموت بشقيه "شقه البيولوجي الملموس وشقه المعنوي المحسوس"؛ وذلك عبر مستويين مختلفين هما:

➤ المستوى الخاص: تتماهى فيه دلالة الورد مع ذات الشاعر، ويتجسد من خلاله الموت ببعده المعنوي المحسوس فقط.

➤ المستوى العام: تتماهى فيه دلالة الورد مع ذات الأمة العربية، محيلةً على الموت بشقيه، شقه البيولوجي "الملموس" وشقه المعنوي "المحسوس".

ويمكن تلخيص ما سبق ذكره مع توضيح مختلف إجابات دلالات "الورود" على الموت بشقيه في هذه القصيدة؛ عبر المخطط التالي:

الشكل 1: مخطط توضيحي لإحالة دلالات الورود على الموت بقصيدة "زهور" لـ "أمل دقل":



ومنه فإن دلالات الموت بهذه القصيدة تتأرجح بين موت معنوي شعوري، يتجسد من خلاله حالة اليأس والفقد \_فقد كل من: الوطن، الأمان، الاستقرار، السعادة والحياة الكريمة\_، اللذان يشعرون بهما الشاعر ويعانيهما كل فرد من أفراد الأمة العربية؛ وموت بيولوجي حقيقي يحيل على الفناء، جسد فظاعة الاستعمار الغاشم الذي تعاني منه أغلب شعوب الدول العربية، وما يقترفه بحقها من جرائم سالب للحياة كالقتل والإعدام والإبادة الجماعية... وغيرهم.

إن تعاقب حالات الورود بين الحياة والموت لعدة مرات على طول أسطر هذه القصيدة \_زهور\_؛ وحملها لمشاعر الأمل والسعادة إلينا إبان حياتها، ونقلها لمشاعر اليأس والحزن عند رحيلها عنا \_موتها\_؛ يحيلنا على أسطورة "الانبعاث" ببلاد الرافدين لـ "تموز" (دموزي) إله الزراعة والرعي وسيد "بيت الحياة"، الذي لعنته زوجته "إنانا" (عشتار) إلهة الحب والخصيب وسيدة "بيت الحياة" كذلك؛ عقاباً له لعدم أكثراته ولا مبالاته على فراقها ومكوئها بأرض الجحيم، فغدا يموت وينزل إلى الجحيم ليكث به ستة أشهر طيلة فصلي

الخريف والشتاء؛ فيموت بموته ويغيب بغيابه كل مظاهر الحياة من رعي وزراعة وتكاثر ماشية... وغيرها؛ ثم تعود للحياة من جديد بعودته إليها في فصل الربيع والصيف، وتبقى مزدهرة طيلة الستة أشهر التي يقضيها "تموز" بينها خارج أرض الجحيم؛ وهكذا تتوالى الفصول بين موت الطبيعة وعودتها للحياة تزامناً مع موت "تموز" وانبعاثه من جديد<sup>12</sup>؛ ومن خلال هذه الأسطورة استمد الشاعر فكرة عودة سيادة وحرية الأمة العربية للحياة وانبعاث أجدادها التي تكذب أن تضمحل وتختفي من الموت، بعودة المهجرين منها إليها وانتصارهم على غزائهم؛ ولقد قام بتجسيد ذلك عبر الإيحاء من خلال موت الورود \_ الزهراء \_ على غياب الحياة والازدهار والنماء بالأمة العربية، حيث ربط القطف بالقصف والإعدام المجسدين للجرائم المرتكبة بها؛ ثم عودتها بعودة هذه الأخيرة للحياة المتمثلة في المقاومة والتمسك بقضايا الأمة العربية؛ ولقد تماهت هنا دلالات "الورود" مع أفراد المقاومة المناضلين في سبيل نصر قضايأهمهم؛ غير أن هذا الأمل الظاهر لم يستطع حجب لحة الحزن واليأس السائدة على طول أسطر هذه القصيدة، إذ تجسد بأخر مقاطعها انتظار الورود \_ الزهراء \_ للموت راضيةً بمقتلها بعد صراع طويل معه من أجل الحياة؛ مما يشير إلى انتصار اليأس والحزن على الأمل والسعادة، ولعل مرد ذلك هو الحالة الصحية السيئة التي يعاني منها الشاعر، فهي لا تسمح له بالمقاومة طويلة المدى بحربه؛ التي تحتاج لزمن طويل للظفر بها ورفع رايات نصرها.

#### رابعاً \_ المقصدية الشاملة للرمز:

اعتمد الشاعر في بناءه لقصيدة "زهور" من ديوان "أوراق الغرفة 8" على الأسلوب القصصي، مازجاً بذلك بين خصائص فني الشعر والنثر، خالقاً فضاءً جديداً يجد القارئ نفسه فيه رهيناً لأجناس متعددة من الخطابات الأدبية بنص واحد؛ حيث ضمن قصيدته هذه العديد من الأدوات التعبيرية التي استعارها من الفن القصصي كالوصف \_ الحالة التي يرى عليها الشاعر سلال الورد وباقاته \_، السرد \_ رحلة الزهراء من البساتين إلى بين يدي الشاعر \_، الفضاء المكاني \_ البساتين، الدكاكين ومكان تواجد الشاعر \_ والفضاء الزماني \_ لحظة القطف، لحظة القصف ولحظة إعدامها بالحيلة \_، والحوار وتوالي الأحداث؛ وهذا لا يعني بحال من الأحوال احتواء القصيدة على جميع الخصائص الفنية والجمالية لهذا الجنس الأدبي أو انتفاءها له؛ فما هذا الأسلوب «سوى قالب عام لا علاقة له بطبيعة القصة في معناها الفني الحديث»<sup>13</sup>، لجأ إليه الشاعر لإغناء تعبيراته بالتفاصيل الحية التي تجعلها أكثر إيجاءً بمقاصده وأعمق تأثيراً بمتلقيها، وليكسب مقاصده المحلية تماسكاً دلاليًا فيما بينها؛ فتكون بذلك وحدة موضوعية محيلة على مقصديته الشاملة، وكذا لكسوا عواطفه الذاتية بمظهر موضوعاتي عبر الإيحاءات المميزة لوسائله التعبيرية.

لقد استطاع الشاعر من خلال هذا الأسلوب أن يحتمل رمزاً واحداً "ورود" بدلالات متناقضة تماماً \_ الحياة والموت، الأمل واليأس، الحزن والسعادة \_؛ على طول أسطر هذه القصيدة، وذلك من خلال دمج

مع عنصر "الفضاء المكاني" المستعار من الوسائل التعبيرية للفن القصصي؛ فالتأمل للحوار الحاصل بين الشاعر والزهرات سيلاحظ اختلاف دلالاتها باختلاف المكان الواردة به، حيث أنها:

أحالة على الحياة والسعادة والأمل حين كانت بالبساتين بيئتها الأصلية، ولم تفقد هذه الدلالة إلا لحظة القطف، أي لحظة إخراجها من البساتين؛ فالقطف بمعناه التداولي المتعارف عليه هو انتزاع الشيء من أرضه ومكانه الطبيعي ليوضع ببيئة قسرية - إقامة جبرية -، أي يوحى على التهجير، ومنه فإن الموت الذي تحيل عليه الورود هنا هو موت معنوي يحيل على الاعتزاب.

وكذا دلت على الحياة والأمل فيها، وهي بالمتاجر وبين أيدي الباعة المتجولين معروضة للبيع؛ ولكن بشقها المعنوي لا المادي هذه المرة، دل على ذلك توظيف لفظة "أفاقت" مقرونة بها؛ إذ أن هذه الورود تأمل أن يشتريها من يعيدها إلى البساتين - بيئتها الطبيعية -، كما أنها ورغم موتها البيولوجي إبان قطفها من البساتين تبعث الأمل والسعادة والرغبة بالحياة لمشتريها ومتلقيها، عبر ألوانها الزاهية وأريجها العطر ورمزيتها المتداولة بمختلف الثقافات الإنسانية، فطالما كانت الزهور رمز للسلام والطهر والحب والبراءة والصدقة وكذا الأمل والحياة الطويلة السعيدة، منذ الأزل وإلى يومنا هذا.

في حين أحالة وهي بين يدي الشاعر على الحزن واليأس والموت بشقيه - المادي والمعنوي -، لفقدانها آخر أمل لها في العودة لبيئتها الطبيعية؛ وعدم قدرتها على التأقلم مع بيئتها القسرية؛ مما أدى لذبولها ومهتان ألوانها واختفاء أريجها؛ مما أحال على اقتراب موتها الذي سلها دلالاتها الطبيعية وأبدلها عوضا عنها دلالات مضادة تماما لها كاليأس والحزن؛ ويظهر ذلك من خلال صياغة التعجب الظاهرة بقول الشاعر:

«كيف جاءت إلي..»

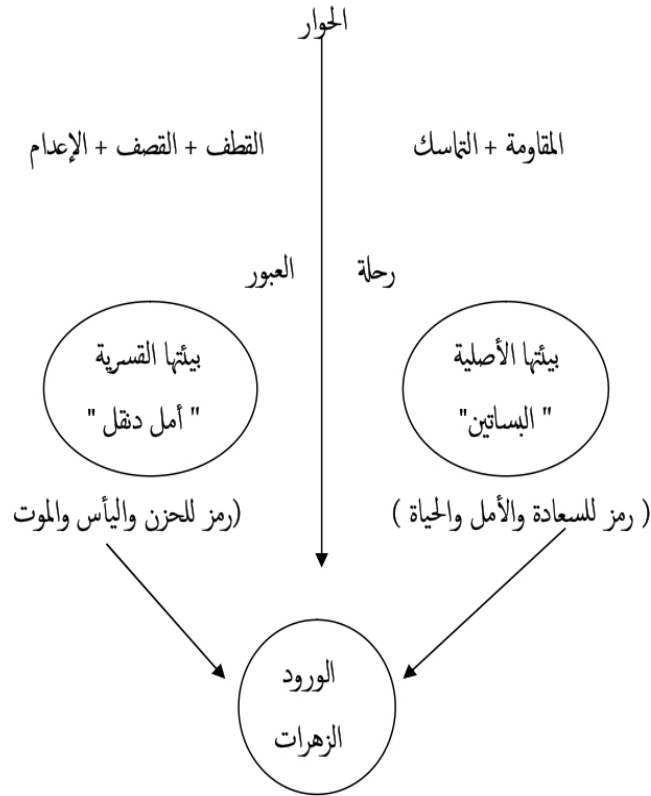
(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)

كي تمنى لي العمر!

<sup>14</sup> وهي تجود بأفاسها الآخرة!!»

ويمكن تلخيص ما سبق ذكره، وتوضيح علاقة دلالات الورود بالفضاء المكاني المحيط بها، وكذا تجسيد رحلة عبورها من رمزية الحياة إلى رمزية الموت على طول أسطر هذه القصيدة؛ عبر المخطط التالي:

الشكل 2: مخطط توضيحي لرحلة عبور دلالة الزهور من الحياة إلى الموت وتجسيد علاقاتها بالفضاء المكاني المحيط بها.



من هنا يتضح بأن الموت الذي يحاول الشاعر تجسيده عبر مقصدية هذه القصيدة؛ من خلال تحميل رمزية "الورود" بدلالته ليس هو الموت البيولوجي الحقيقي المادي؛ بقدر ما هو موت معنوي محسوس مجسد لألام وويلات الاعتراب، الناتج عن الحروب وحملات التهجير التي تعاني منها الشعوب العربية بمختلف بلدانهم المستعمرة آن ذاك؛ فالزهراء حين كانت بالبساتين — موطنها الطبيعي — أحالت على السعادة والأمل والحياة بشقيها البيولوجي "المادي" والمعنوي "المحسوس"؛ في حين أحالت وهي منسقة بالباقيات والسلال المعروضة للبيع على الأمل والحياة بشقها المعنوي فحسب، مجسدة للمقاومة والأمل بالعودة إلى موطنها الأصلي، بعد نشر قضيتها من خلال الإعلام وانتصار الرأي العام لها؛ ولقد أحالت على الحزن واليأس والموت بشقه المعنوي المحيل على الاعتراب وهي بين يدي الشاعر، بعد أن فشلت بالعودة إلى موطنها — البساتين — إبان عدم قدرتها على إثارة الرأي العام لنصرتها، وتوقف حملات الإعلام عن دعمها؛ حيث نسيت خارج وطنها بالإقامة الجبرية حاملة للقب "لاجئ" مقروناً باسم موطنها على صدرها، متمنية العودة إليه مناضلة لإيقاف حملات التهجير العدواني عليه، وإن لم يسعفها العمر لتشهد ذلك أو تعود إليه.

إن هذا الصراع والجدلية القائمة بين الموت والحياة المجسدة من خلال الزهرات؛ هو بالواقع صراع كل صاحب قضية يحارب من أجل نصرتها، محاولاً دعمها وزرعها بقلوب غيره بغية رفعهم لرايات نصرها؛ لعلهم بأنها قد تحتاج لوقت أطول من عمره، ولجهد أكبر من مجده، وربما حياته فدءاً لحياتها والفوز بها؛ بل إنه صراع الشاعر "أمل دنقل" نفسه وهو على فراش المرض يقاتل من أجل نصرت قضايا الأمة العربية \_ القضية الفلسطينية، قضايا التهجير...، وإمدادها بالحياة في قلوب قراءه ليرفعوا رايات ظفرها، وهو يعلم يقيناً بأن المرض الذي يفتك بجسده لن يسعفه لرؤية أماله تتحقق؛ وذلك عبر مجموعة من القصائد يكتبها \_ بين إغناء وإفاقة \_ أثناء مصارعته لسكريات مرضه داخل جدران مستشفى القاهرة بمصر؛ والتي جمعت بعد وفاته بديوان واحد صدر بالسنة الثالثة والثمانون بعد التسع مئة وألف، موسوماً بـ "أوراق الغرفة 8" تيمناً باسم المكان الذي كتبت به؛ ولقد ظهر ذلك \_ إيجابية صراع الموت والحياة على صراع الشاعر نفسه \_ بأنموذج دراستنا "قصيدة زهور" من خلال تماهي دلالة الرمز "ورود" مع ذات الشاعر بالقطع الأخير من القصيدة.

خاتمة:

من خلال ما ورد تقديمه بورقتنا البحثية هذه نخلص إلى جملة من النتائج، نسوقها ونحن بأخر محطاتها في النقاط التالية:

أن المقصدية من أهم العناصر التي يبحث فيها المنهج التداولي؛ لارتباطها بالجانبين النصي والتواصلية الإخباري بالخطاب الإبداعي، وتعلقها بأثافي العمل الإبداعي \_ المبدع، النص، المتلقي؛ إذ أنها من أهم معايير تحقق النصانية، وشرط أساسي بكل أنواع التواصل الإنساني؛ فتكون بذلك من أهم العناصر الموجهة للاستعمال اللغوي به.

استطاع الشاعر أن يجسد جدلية الموت والحياة الكامنة بكل شيء من حولنا؛ عبر تحميل رمز واحد "ورود" بدلالاتها معاً، وبشكل منطقي حجاجي أوحى لنا بأن الأشياء ليست كما تبدو عليه. اعتمد الشاعر على الرمز والمفارقة في تجسيد مقصديته، مُكسباً إياها شيئاً من الغموض المحبب الذي يستثير القارئ للغوص إلى أعماقها وإزالتها، بغية الوصول إلى جوهرها والكشف عن مراميها؛ مما يجعلها أكثر وضوحاً بذهنه وأعمق ترسخاً بوجدانه.

مزج الشاعر في بناءه لقصيدته "زهور" من ديوانه "أوراق الغرفة 8"، بين تقنيات عديدة \_ الرمز والأسطورة والغموض والمفارقة والأسلوب القصصي \_؛ مانحاً مقاصده بذلك كثافة دلالية تنفجر بذات متلقيها، فتتضح بذهنه وترسخ بوجدانه.

إن تمازج آليات فني الشعر والسرد \_ القصة \_ بناءاً إنموذج دراستنا، ليس سوى أداة أو شكل من أشكال التعبير الإنساني؛ لا يمكن حصره كتنصيف أجناسي أو عده جنساً أدبياً مستقلاً بذاته.

استطاعت المقصدية الشاملة أن تحافظ على تماسكها وترابطها على طول أسطر هذه القصيدة، رغم اعتمادها على المفارقة والتضاد وجمعها بين عوالم شديدة التباين والتنافر، لانبثاقها على الأسلوب القصصي الذي

ساهم في الربط بين المقاصد المحلية وجعلها تتظافر لتوحي عليها؛ كما أنه أكسبها طابعاً موضوعياً وأغناها بالتفاصيل الحية من خلال مختلف عناصره التعبيرية الحيوية.

#### هوامش:

- <sup>1</sup> \_ محمد مفتاح: في السمياء القديمة دراسة نظرية تطبيقية، (1982)، دار الثقافة (الدار البيضاء)، ط 1، المغرب، ص 53.
- <sup>2</sup> \_ محمد مفتاح: مجهول البيان، (1998)، دار توبقال للنشر (الدار البيضاء)، ط 1، م 1، المغرب، ص 106.
- <sup>3</sup> \_ ينظر: آن روبول، جاك موشلار: تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بوتكلاي، (2020)، دار كوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، ص 216 \_ 217 \_ 218 \_ 219.
- <sup>4</sup> \_ الفتي بولان: المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ليلي احمياني، (2018)، رؤية للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط 1، مصر، ص 52.
- <sup>5</sup> \_ ينظر: عبد الهادي بن طافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، (2004)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، ليبيا، ص 212 \_ 214 \_ 215 \_ 218 \_ 219.
- <sup>6</sup> \_ محمد علي كدي: الرمز والتقني في الشعر العربي الحديث [السياب ونازك البياضي]، (2003)، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت)، ط 1، سوريا، ص 35.
- <sup>7</sup> \_ نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، (2008)، صفحات للدراسات والنشر (دمشق)، سوريا، ص 246.
- <sup>8</sup> \_ أمل دقل: الأعمال الكاملة، (2022)، دار الشروق (القاهرة)، ط 10، مصر، ص 289.
- <sup>9</sup> \_ ينظر: المصدر نفسه، ص 290.
- <sup>10</sup> \_ ينظر: المصدر نفسه، ص 289.
- <sup>11</sup> \_ المصدر نفسه، ص 290.
- <sup>12</sup> \_ ينظر: فاضل الواحد علي: عشتار ومأساة تموز، (1999)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق)، ط 1، سوريا، ص 89 - 98. / وينظر: صمويل هنري هوك، الأساطير في بلاد ما بين النهرين، تر: يوسف دلود عبد القادر، (1968)، المؤسسة العامة للطباعة والطباعة (بغداد)، العراق، ص 07 - 08 - 09.
- <sup>13</sup> \_ محمد غنمي هلال: النقد الأدبي الحديث، (1997)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص 433.
- <sup>14</sup> \_ أمل دقل، الأعمال الكاملة، ص 290.

#### قائمة المصادر المراجع:

##### المصادر:

1- أمل دقل: الأعمال الكاملة، (2022)، دار الشروق (القاهرة)، ط 10، مصر.

##### المراجع باللغة العربية:

- 2- عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، (2004)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، ليبيا.
  - 3- فاضل عبد الواحد علي: عشتار ومأساة تموز، (1999)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع (دمشق)، ط 1، سوريا.
  - 4- محمد علي كندي: الرمز والتقني في الشعر العربي الحديث [السياب ونازك البياضي]، (2003)، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت)، ط 1، سوريا.
  - 5- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، (1997)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
  - 6- محمد مفتاح: في السمياء القديمة دراسة نظرية تطبيقية، (1982)، دار الثقافة (الدار البيضاء)، ط 1، المغرب.
  - 7- محمد مفتاح: مجهول البيان، (1998)، دار توبقال للنشر (الدار البيضاء)، ط 1، م 1، المغرب.
  - 8- نعم البياضي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، (2008)، صفحات للدراسات والنشر (دمشق)، سوريا.
- المراجع المترجمة:**
- 9- النفي بولان: المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ليلى احمياني، (2018)، رؤية للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط 1، مصر.
  - 10- آن روبول، جاك موشلار: تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، تر: لحسن بوتكلاي، (2020)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان.
  - 11- صمويل هنري هوك: الأساطير في بلاد ما بين النهرين، تر: يوسف دلود عبد القادر، (1968)، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة (بغداد)، العراق.